المنوال . وفضلاً عن ذلك فقد كانت النفس راضية بالقليل مكتفية بالموجود الحاضر . وكان الرجل سيداً مطلقاً في البيت واقرب شيء الى يده العصا لتاديب امراته . وكانت هـذه المراة عبدة حقيقية لا تخرج الا محجبة ولا تجالس رجلاً ولا تخاطب احداً غير زوجها الا من وراء حجاب كاخواتهن المسلمات اليوم . غير ان العادات والاخلاق كانت الطف وابسط منها اليوم كما يزعم الشيوخ الذين شهدوا تلك الايام . وهم يزعمون ايضاً ان الامراض كانت اقل واخف وطأة . ولكن هذا الزعم والذي تقدمه يحتاجان الى اثبات . ويردُّ الاطباء على الزعم الثاني بقولهم ان الامراض كانت مجهولة لا معدومة وكان الناس يسمون كل مرض حمى فلما انتشر الاطباء وسموا الامراض باسمائها الحقيقية ظن البسطاء انها تعددت . وقس على ذلك باقي شؤون الحياة .

اما نحن فلا نجهل ان المعيشة في ذلك الزمان كانت اسهل وابسط مما هي اليوم والناس كانوا اقرب الى الاخاء البشري والبساطة الطبيعية ولكننا نعتقد ان الذين ياسفون على الايام الماضية انما ياسفون اسف الشيخ الذي يتحسر في شيخوخته على شبابه وان كان في شيخوخته اهنأ بالاً مما كان في شبابه واحسن حالاً . فمن يتحسر اليوم على زمن الجدة السورية فليتحسر عليه ولكن دون ان يتمنى الرجوع اليه .

صفحة الشعر

﴿ قوة نساء العرب وسرعة جوابهن ﴾

يعزُّ على الكاتب اليوم اذا رام تفكهة قرائه بشيء من الشعر ان يرى نفسه مضطراً للرجوع الى ما جاء في الكتب القديمة . وليس يعزُّ عليه ذلك لان ماجاء في هذه الكتب مهمل لا يستحق النشر ولكن لانه لا ينطبق على شؤون العصر وحاجاته ولذلك فهو قلما يكون ذا تاثير في نفس القارىء . غير ان الرواية الشعرية التي نرويها الآن نقلاً عن المسعودي جديرة بان تلذَّ القراء فضلاً عن دلالتها على ما كان للنساء في ذلك الزمان من المكانة من البلاغة وسرعة الجواب . وهذه خلاصتها . قال يزيد الرقاشي

سمرتُ ذات ليلة عند السفاح (وهو ابو العباس عبدالله بن محمد اول الخلفاء العباسيين) فقال يا يزيد اخبرني باظرف ما سمعته من الاحاديث فقلت : يا امير المؤمنين . نزل

رجل من تنوخ بحيّ من بني عامر بن صعصعة فجعل لا يحطُّ شيئًا من متاعه الا تمثل بهذا البيت

لعمرك ما تبلى سرائر عامرٍ من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فسمعته جارية من الحيّ فاغاظها هذا الهجاء لقومها فخرجت الى الرجل وحادثته وآنسته وسألته حتى انس بها فقالت له · من اي قوم انت مُتعت بك · فاجاب الرجل من "تميم" فقالت الجارية اتعرف الذي يقول

تميم يطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلّتِ
ولو ان برغوثًا على ظهر قملةٍ يكرُّ على جمعي تميمٍ لولتِ
ذبحنا فسمينا فتمّ ذبيحنا وما ذبحت يومًا تميم فسمت

فقال الرجل لا والله ما انا من تميم فالت فمن انت جُعلتُ فداك قال : رجل من عجل · فقالت اتعرف الذي يقول

اذا مات عجليٌّ بارضٍ فانما يُشقُّ له منها ذراع واصبع

قال لا والله ما انا من عجل · قالت فمن انت قل الحق · قال : رجل من بني يشكر · فقالت اتعرف الذي يقول

اذا يشكريٌّ مسّ ثوبك ثوبه فلا تذكرنّ الله حتى تطهرا

فقال لا والله ما انا من يشكر قالت فمن انت اذًا قال من عبس · فقالت الجارية اتعرف الذي يقول

اذا عبسية ولدت غلامًا فبشرها بلؤمٍ مستفادِ

فقال لا والله ما انا من عبس قالت فمن انت قال من بني ضبة · فقالت اتعرف القائل

لقد زرقتْ عيناك يا ابن معكبرٍ كما كل ضبيّ من اللوم ازرق

فقال الرجل اعوذ بالله · لا والله ما انا من بني ضبة · فقالت فمن انت ويحك اما تستحي قل الحق · فقال انا من خزاعة فقالت اتعرف الذي يقول

اذا افتخرت خزاعة في كريم وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرًا بزقٍ بئس مفتخر الفخور

فقال لا والله لست من خزاعة · فقالت فمن انت قال من لقيط · فقالت اتعرف الذي يقول

لقيط شرُّ من ركب المطايا وانذل من يدبّ على البسيط

فقال لا والله لست من لقيط ولكن من خثعم · فقالت اتعرف الذي يقول

وخثعم لو صفرتَ بها صفيرًا لطارت في البلاد مع الجرادِ

فقال الرجل لا لا بل انا من طي . فقالت اتعرف الذي يقول

ولو انَّ حرقوصًا يمدُّ جناحه على جبلي طيٍ اذا لا ستظلتِ

فقال لا والله ما انا من طي . فقالت فمن انت ويلك اما تستحي اكثرت من الكذب فقال انا رجل من تنوخ وهو الحق . قالت اتعرف الذي يقول

اذا تنوخ قطعت منهلاً في طلب الغارات والثار

آبت بخزي من اله العلى وشهرة في الاهل والجار

فقال لا والله لست منهم . قالت فمن انت . قال من بني حمير فقالت اتعرف الذي يقول

نبئت حمير تهجوني فقلت لهم ما كنت احسبهم كانوا ولا خلقوا

لا يكثرون وان طالت حياتهمُ ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

فقال لا والله لست منهم . قالت فمن انت قال من بني امية . فقالت اتعرف الذي يقول

وهي من امية بنيانها فهان على الله فقدانها

وكانت اميـة فيما مضى جرئ على الله سلطـانها

فلا آل حرب اطاعوا الرسو ل ولم يتق الله مروانها

فقال الرجل لا والله ما انا منهم ولكن من ولد الشيطان الرجيم . قالت فلعنك الله ولعن اباك الشيطان معك افتعرف الذي يقول

الا ياعباد الله هذا عدوكم وهذا عدوّ الله ابليس فاقتلوا

فصاح الرجل : هذا مقام العائذ بك . قالت قم يارجل خاسئًا مذمومًا واذا نزلتَ بقوم فلا تنشد فيهم شعرًا حتى تعرف من هم ولا تتعرض للباحث عن مساوئ الناس فلكل قوم اساءة واحسان . وانت كما قال جرير للفرزدق

وكنتَ اذا حللتَ بدار قوم رحلتَ بخزية وتركت عارا

فقال لها الرجل والله لا انشدُ بيت شعر ابدًا . — فقال السفاح لئن كنتَ قلت هذا الخبر ونظمتَ فيمن ذكرتَ هذه الاشعار فلقد احسنتَ وانت سيد الكاذبين . وان كان الخبر صدقًا وكنت فيما ذكرته محقًا فان هذه الجارية العامرية لمن احضر الناس جوابًا وابصرهم بمثالب الناس